اما بالنسبة للاخلاق فان الفلسطينيين يعون جيدا فلسفة الاقوياء المتكفئة على ذاتها التي تجعلهم عاجزين عن رؤية الام شعوب العالم الثالث وتطلعاتها المشروعة في الحياة الحرة السعيدة . وفي فترة ما قبل التاريخ التي تشكل التاريخ الذي لا زلنا نحياه فان نظام الامبريالية الرأسمالية الليبرالية والمستغلة القاسية انتج منظومة من القيم التي تستطيع بكل سهولة ان تبرر اكثر جرائم الامبريالية وحشية وضراوة . وهكذا استطاعت البلدان القوية كأميركه ان تكتنف بالغموض الحقيقة الانسانية لاعمالهم عن طريق تقنيع تلك الاعمال بتعابير وعمليات فكرية لا علاقة لها بتلك الاعمال ذاتها ، مثل الحجج التي تبدو في ظاهرها قانونية او النصائح التي تدعو الى « العملية » تلك التعابير والعمليات الفكرية التي تعمل على ابقاء البنى المضطهدة القائمة في الدول العنصرية وعلى ابقاء التعابير العسكرية « المحايدة » المعقدة التي تستخدم في اخفاء الرعب الانساني من الدمار على يد القوة التكنولوجية المتفوقة في فيتنام . ولقد حاول الصهيونيون في فلسطين والاميركيون في فيتنام والروديسيون البيض والافريقيون الجنوبيون جميعا ان يضربوا ستارا على اعينهم واعين الاخرين واخفاء عدوانهم ووحشيتهم ولا انسانيتهم بطريقة او اخرى . وقد يرتكب الصهيونيون ابشع الجرائم (كما فعلوا في دير ياسين وقبيه وكفر قاسم) ولكنهم يستطيعون التغلب على شعورهم بالذنب والحفاظ على استقامتهم في اعينهم هم وذلك بالاعتراف بارتكاب مثل هذه الجرائم ومعالجتها على اساس انها « غير مقصودة » وشاذة وعبارة عن انحرافات آنية .

وبسبب هذه الفلسفة الاخلاقية يدرك الفلسطينيون انهم لن يحققوا شيئا بمجرد دعوة القوي الى معالجة الظلم الذي ارتكب في حقهم لانه يكاد لا يعترف بهذا الظلم . لقد وجد الفلسطينيون من خلال الدروس المريرة التي تلقوها انه لا القوانين الدولية ولا الاعمال والمقررات الصادرة عن الهيئات الدولية تستطيع ان تحقق شروط الحق والعدالة . ان العدالة التي سيعترف بها العالم هي تلك التي يستطيع المضطهد ان يحققها من خلال نضاله وتضحياته . ان المضطهدين لا يستطيعون ابدا ان يتوقعوا الحصول على حقوقهم على طبق من الفضة في عالم السيادات الوطنية وسيطرة الامم الغنية ، عالم القوى الامبريالية والمواقع العاجزة عن الدفاع عن نفسها ، عالم الاستعمار الجديد .

ويعلم الفلسطينيون انه مع تصاعد النضال فلا بد له من ان يتخذ شكلا قاسيا . ان العنف الشامل لا ينفصل عن عملية التحرير من الاستعمار الاستيطاني . ان ضحايا العدوان الاستعماري يلجأون الى العنف المضاد للقضاء على العنف الذي وقع عليهم . والوحشية تزداد مع تزايد العنف والعنف المضاد . وهكذا فان الضحية ومضطهدها يقعان في شرك التصعيد القاتل . ونحن نعلم من التجربة الماضية ان التصعيد لا ينتهي قبل ان يصل درجات حادة من سفك الدماء والدمار الذي يدوم شهورا بل وسنوات كما حدث في الجزائر .

وهناك ثلاثة اسباب اساسية تفرض على الفلسطينيين اختيار هدف التحرير هدفا لا عودة عنه . السبب الاول هو غياب اي بديل آخر للكفاح : فاذا هم لم يقاتلوا هلكوا . وهم لم يبق لديهم الا القليل ليخسروه . « ان ما لا يقتلني يجعلني اقوى » على حد قول فريدريك نيتشه . السبب الثاني يكمن في حركة التحرير السائرة في جميع انحاء العالم . فالفلسطينيون اصبحوا يرون ، كما لم يفعلوا من قبل ، ان تحررهم جزء من حركة عالمية . انهم يرون تحررهم مرتبطا بتمزيق نظام الامبريالية الجديدة الاميركي ، هذا النظام المحكوم عليه بالزوال في الشرق الاوسط مثلما في جنوبي شرقي آسيه . وهناك اخيرا